السخرية السياسية بين الدلالة والرمزية
خلال عصر المماليك البرجية بمصر
(٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٣-١٥١٧م) (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

دكتورة/ تيسير محمد شادي
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب – جامعة دمنهور

الملخص

تعد السخرية احدي الركائز الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع، لأنها تحمل بين طياتها كثير من الدلالات التي تعبر عن النمط الفكري والاجتماعي والثقافي السائدة في ذلك المجتمع، وتعبر عن شخصيته وهويته، والسخرية في حد ذاتها وسيلة يعبر بها الشعب في مجتمع ما عن ما يدور في هذا المجتمع من أوضاع سياسية غير مستقرة أدت بدورها إلي الشعور بظلم أو حرمأن، وربما تعبر عن الحالة الاقتصادية لذلك الشعب وما يعأني منه من مشكلات، وفي أحيان أخري تعكس توصيف دقيق للحالة الإجتماعية ومن ثم يلجأ الناس أحيانًا إلي تلك الوسيلة كنوع من أنواع المعارضة، للتعبير عن رأيهم وآلامهم وأحلامهم وتوصيلها إلي الحاكم، وتلك الوسيلة وان كانت في ذاتها غير مباشرة إلا أنها تؤثر سلبًا أو إيجابًا علي الحياة السياسية والحضارية في ذلك المجتمع، كذلك تحقق نوع من أنواع التوازن النسبي للشعب الذي يكاد يقترب من الأنفجار، كما أنها تعبر عن هوية هذا المجتمع بشكل أو بآخر.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد يوليو ٢٠٢٠، الجزء الأول.

والسخرية هي طريقة من طرق التعبير عن الرأي، يستخدم فيها الشخص ألفاظاً مضادة للمعنى الحقيقي الذي يقصده حقيقةً، وقد تظهر السخرية في صورة ضحك ساخر أو تجريح هازئ أو عبارات ساخرة يكون الغرض منها في المقام الأول النقد ثم الضحك ثانياً.. لم تقتصر السخرية علي التعبيرات والألفاظ المعارضة فحسب، بل شملت أيضًا النكت التي اتخذها الناس للتعبير عن رأيهم وشعورهم ومقاومتهم من خلال معتقداتهم وثقافاتهم ومن ثم هويتهم، التي استمرت كموروث ثقافي لهذا الشعب .

كذلك اتسعت السخرية لتشمل الجانب الأدبي بكل ألوانه، كالرسم والشعر وغيرها ، حيث نجد كثير من الشعراء اشتمل شعرهم علي الألفاظ الساخرة الناقدة التي عبرت عن معاناتهم وآلامهم وتحدياتهم وعن الحالة السياسية الاقتصادية والاجتماعية لبلادهم، فشمل شعرهم وصفًا للصراعات السياسية والأزمات الاقتصادية و الفساد الاجتماعي الذي عم مجتمعهم خلال فترة ما من حياتهم مبينا مقاومتهم وتحدياتهم تجاه تلك الاحداث، الذي اعد نوعا من أنواع المقاومة المصرية لتلك وقد ظهر هذا جليا في الشخصية المصرية ولا سيما خلال عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٣-١٥١٧م).

وعلي هذا فقد تم تقسيم البحث إلي عدة محاور رئيسة وهي: التعريف اللغوي والاصطلاحي للسخرية، ، وثانيًا التعريف بالهَوية المصرية ، كذلك عصر المماليك الجراكسة، ثم تطرق البحث لأنماط الهوية المصرية من خلال السخرية كنوع من أنواع المقاومة المصرية للاوضاع غير الطبيعية التي مرت بهم والتي تخلت خلال الأحداث السياسية والاقتصادية في المملوكية، قد اقتضت طبيعة البحث ان يتم تناوله من خلال المنهج التاريخي، القائم علي السرد والبناء والنقد والتحليل .

Political Cynicism between Significance and Symbolism During the Era of the Circassian Mamluks in Egypt (1517-1383/ 923-784 AH)

Abstract:

Cynicism is one of the main pillars that are closely related to the society, because it carries many meanings that express the intellectual, social and cultural patterns prevailing in that society, and it also expresses its personality and identity.

It is considered as a means for the people to express themselves in a society during unstable political situations, which in turn led to feelings of injustice or deprivation, and may reflect the economic situation of the people and the problems that they face, and at other times reflect the accurate description of the social situation and then, sometimes, people resort to the method as a kind of opposition to express their opinions and pain in an attempt to reach out to the ruler.

That means, indirect as it is, still affects the political and civilized life in that society negatively or positively as it might be. As well as achieving a kind of relative balance for the people, which is almost close to a boiling point and it expresses the identity of this society in a way or another.

Cynicism is one of the ways of expressing opinion, in which a person uses words which are opposite to the real meaning of what he/she really meant, and cynicism may appear in the form of cynical laughter or insulting way of contempt or sarcastic words that are intended primarily for criticism and then laughter.

Not only did it include the oppositional utterances and expressions of opposition, but also the jokes that people took to express their opinion, feeling and resistance through their beliefs, cultures and then their identity, which continued as a cultural heritage of that people.

Cynicism also includes the literary side in all its aspects such as painting, poetry, and others, as we find many poets whose poetry included sarcastic and critical expressions that expressed their suffering, pain, challenges and the political, economic and social situation of their country.

Their poetry included a description of the political conflicts, economic crises and social corruption that pervaded their society during a certain phase of their lives, indicating their resistance and their challenges to those events, which was considered as a kind of resistance to the Egyptians and that had been evident in the Egyptian character, especially during the era of the Mamluki Circassians (784-923 / 1383-1517).

The research is divided into several main axes: the linguistic and standard definition of cynicism, and secondly the definition of the Egyptian identity, as well as the era of the Mamluks of the Circassian. Then, the research discussed the patterns of Egyptian identity through cynicism as a kind of Egyptian resistance to the abnormal situations that passed during the political and economic events in the Mamluki era, the nature of the research required that it would be dealt with through the historical approach, based on narration, construction, criticism and analysis.

مقدمة:

تعد السخرية إحدى الركائز الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع؛ لأنها تحمل بين طياتها كثيرًا من الدلالات التي تعبر عن النمط الفكري والاجتماعي والثقافي السائد في ذلك المجتمع، وتعبر عن شخصيته وهويته، والسخرية في حد ذاتها وسيلة يعبر بها الشعب في مجتمع ما عما يدور في هذا المجتمع من أوضاع سياسية غير مستقرة أدت بدورها إلى الشعور بظلم أو

حرمان، وربما تعبر عن الحالة الاقتصادية لذلك الشعب وما يعاني منه من مشكلات، وفي أحيان أخرى تعكس توصيفًا دقيقًا للحالة الاجتماعية ومن ثم يلجأ الناس أحيانًا إلى تلك الوسيلة كنوع من أنواع المعارضة، للتعبير عن آرائهم وآلامهم وأحلامهم لإيصالها إلى الحاكم، وتلك الوسيلة وإن كانت في ذاتها غير مباشرة إلا أنها تؤثر سلبًا أو إيجابًا على الحياة السياسية والحضارية في ذلك المجتمع، كذلك تحقق نوعًا من أنواع التوازن النسبي للشعب الذي يكاد يقترب من الانفجار، كما أنها تعبر عن هوية هذا المجتمع بشكل أو بآخر وهي لون من ألوان المعارضة السياسية وإبداء الرأي وقراءة سياسية واعية للواقع.

والسخرية هي طريقة من طرق التعبير عن الرأي، يستخدم فيها الشخص ألفاظًا مضادة للمعنى الحقيقي الذي يقصده حقيقةً، وقد تظهر السخرية في صورة ضحك ساخر أو تجريح هازئ أو عبارات ساخرة يكون الغرض منها في المقام الأول النقد ثم الضحك ثانيًا.

ولم تقتصر السخرية على التعبيرات والألفاظ المعارضة فحسب، بل شملت أيضًا النكت التي اتخذها الناس للتعبير عن رأيهم وشعورهم ومقاومتهم من خلال معتقداتهم وثقافاتهم ومن ثم هويتهم، التي تستمر كموروث ثقافي لهذا الشعب.

كذلك اتسعت السخرية لتشمل الجانبين الفني والأدبي، كالرسم والشعر وغيرهما، حيث نجد كثيرًا من الشعراء اشتمل شعرهم على الألفاظ الساخرة الناقدة التي عبرت عن معاناتهم وآلامهم وتحدياتهم، وعن الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبلادهم، فشمل شعرهم وصفًا للصراعات السياسية والأزمات الاقتصادية والفساد الاجتماعي الذي عَمَّ مجتمعهم خلال فترة ما من حياتهم مبينًا مقاومتهم وتحدياتهم تجاه تلك الأحداث، والذي عُدَّ نوعًا من أنواع المقاومة المصرية، وقد ظهر هذا جليًّا في الشخصية المصرية، ولا سيما خلال عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م).

وعلى هذا فقد تم تقسيم البحث إلى عدة محاور رئيسة، وهي:

- التعريف اللغوي والاصطلاحي للسخرية.
- أساليب السخرية.
- التعريف بالهُوية المصرية.

كذلك السخرية في عصر المماليك الجراكسة بمصر وألوانها المختلفة.

ويعالج البحث أنماط الهوية المصرية من خلال السخرية كنوع من أنواع رفض المصريين للأوضاع غير الطبيعية التي مرت بهم، والتي تجلَّت خلال الأحداث السياسية والاقتصادية في الدولة المملوكية، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتم تناوله من خلال منهج البحث التاريخي، القائم على السرد والبناء والنقد والتحليل.

أولًا: المعنى اللغوي والاصطلاحي للسخرية:

والسُّخرِية بضم أولها وسكون ثانيها وكسر ثالثها من الفعل (سَخِر) الذي هو مصدر لمعنيين هما سُخرَة وسُخرِية، فجاءت الأولي بمعنى القهر والذل، فيقول ابن منظور: إن السُّخرة، كل ما سُخِّر لك من خادم أو دابة، أو غير ذلك بلا أجر أو ثمن، ويقال: سخرته بمعنى قهرته، كذلك قيل أيضًا سخرتُه أي ذللته(١).

وجاء المعني الثاني ليعبر عن مدلول الاستهزاء والضحك : فيقال: سَخِرَ منه وبه، وسَخْرًا وسَخَرًا وسُخْرًا ومَسْخَرًا، وسِخْرِيًّا وسُخْرِيًّا وسُخْرِيَّة وسُخْرِيَة، أي هَزِئَ به(٢)، ومما سبق يتضح لنا أن مادة السخرية تدور في المعجم العربي حول عدة معان مختلفة الشكل متفقة المعنى تتمثل في: القهر والذل والاستهزاء والضحك.

والسخرية فعل بشري يقوم على الاستهانة والتحقير، والتركيز على العيوب والنقائص، على وجه يُضْحَكُ منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء(٣)، وهي تعني كذلك: حمل الأقوال والأفعال على وجه الهزل واللعب لا على وجه الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو

الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذمًّا يخرجها عن درجة الاعتبار إلى شكل ساخر مضحك(٤).

وهذا النوع من السخرية يعد نوعًا من أنواع التقويم والإصلاح الذي يلجأ إليه المجتمع أحيانًا؛ لمهاجمة الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية، أو الأوضاع الخاطئة، عن طريق سلب المهجو ما يعتز به من فضائل، ورميه بما يُنَفَّر من الرذائل، وتعد السخرية الموجهة والممنهجة التي تخدم غرضًا أو قضية، ولديها هدف مناط بها تحقيقه؛ نوعًا من أنواع المعارضة الشعبية الهادفة التي تتم بطرق غير مباشرة تؤدي بالساخر في كثير من الأحيان إلى الوصول لغايته بشكل هادف وساخر في ذات الوقت(٥)، وذلك لنجاحها في إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صورة ملفتة للنظر، تستدعي مقاومتها، والرد عليها، وإيقاف مفعولها على وجه السرعة، دون أن يلجأ صاحبها إلى الهجوم المباشر، أو أن يبدو في موقف يكون فيه هدفًا للانتقام كلما استطاع إلى ذلك سبيلًا(٦) وكما يذكر المتنبي: "وبضدها تتبين الأشياء"، وكذلك قول دوقلة المنبجي:" ضدان استجمعا حسنًا والضد يظهر حسنه الضد".

وقد تعددت الألفاظ والمرادفات العربية التي تدل على السخرية ومنها: التهكم، والهزأ، والتندر، والاستخفاف، والمداعبة، والمزاح، والهزل، والتعريض، والضحك، ومعظم هذه المرادفات هادفة تحاول الوصول إلى غاية مؤداها الإصلاح والتطوير باختلاف أساليبها(٧).

وهنا يمكن القول: إن السخرية تعد في كثير من الأحيان شكلًا من أشكال الفكاهة الهادفة، والنقد المضحك الهازئ، الذي يحاول مهاجمة سلبيات الوضع القائم، سياسيًّا واجتماعيًّا(٨)؛ لذلك فهي كما قيل: أرقى أنواع الفكاهة؛ لما تحتاج إليه من ذكاء ودهاء ومكر(٩)، وهي تقدم رسالة للتعبير عن الرأي وتقويم بعض السلوكيات واعلان موقف تستتر وراءه السخرية من قضايا الوضع آنذاك وكما يورد المتنبي عن أحوال المصريين فيقول: كم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء.

ثانيًا: السخرية والهُوية :

وأصبحت السخرية في بعض المجتمعات ومنها المجتمع المصري علي الأخص جزءًا لا يتجزأ من الهُوية فأضحت مرآة تعكس صورة للشخصية المصرية بكل مرادفاتها، أما عن الهُوية فهي بضم الهاء كما هي في المعنى اللغوي نسبة إلى الضمير «هُوَ»، وهي تشير إلى البئر العميقة؛ وهي كما ذُكر أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق(١٠)؛ أي إنها: حقيقة الشيء وسماته التي تميزه عن غيره(١١)، وهي بذلك تمثل السلوك النفسي للأفراد وطريقة تأقلمهم مع المجتمع الذي يوجدون فيه عن طريق العادات والتصرفات واللهجات وطريقة التعبير التي تؤدي إلى الاندماج مع البيئة المحيطة بهم، ومن ثم فالهوية هي: مجموعة السلوكيَّات الفردية والأفكار والتصرفات في مختلف المواقف التي تميز الفرد أو المجتمع عن غيره، فيعرف بها وتظهر من خلالها شخصيته. **تعرف الهُوية** أيضًا بأنها الإدراك الواعي للاستقلالية والفردية وتحقيق الذات بشكلٍ مستقل وواضحٍ، والإحساس بالتكامل الداخلي واللانقسامية، وكذلك الإحساس بالتماثل الداخلي والاستمرارية بين ما هو ماضٍ وما يتوقع أن يكون في المستقبل، والشعور بأن حياة الفرد ملائمة له وأنه يسير في اتجاهٍ ذي معنى.(١٢)

وقد حظيت الشخصية المصرية بدراسات عديدة من قبل المهتمين بتحليلها، والوقوف على إيجابياتها وسلبياتها، معتمدة على المؤثرات المختلفة التي تعرضت لها مصر على مر عصورها التاريخية، فهي كما وصفها البعض: نتاج لتعاقب حضارات متعددة توالت عليها منذ القدم، مثل الحضارة الفرعونية واليونانية والرومانية والقبطية والإسلامية العربية وشهدت موروثا ثقافيا ثريًّا يدل علي عمق الحضارة وتأصيلها منذ القدم، هذا بالإضافة إلى الموقع الجغرافي المؤثر في تلك الشخصية(١٣)، وقد عرفت الشخصية المصرية منذ أقدم العصور التاريخية بخفة الروح، ومن ثم فقد وصف الشعب المصري بأنه:

فيلسوف مسالم، تعلم من ظالميه الحذر وصون اللسان، كما تعلم السخرية المستترة، التي تحمل بين طياتها معارضة قوية للحاكم، فإن شعر الشعب المصري بظلم الحاكم اتخذ منه مادة لسخريته وتهكمه(١٤).

لذلك لم يستسلم شعب مصر على مر العصور للأمر الواقع؛ بل إنه كان يقابل الغزو الخارجي بغزو داخلي خفي، يمس الجوهر والكيان ويبرز الهوية المصرية المتميزة، وكان ما يحدث للشخصية المصرية مع حكامها ما هو إلا تكيف سطحي لا يمس الأعماق ولا ينفذ للصميم، وذلك على مر عصورها حتى مع العرب الذين عربوا مصر لغويًّا ونشروا فيها الدين الإسلامي، قد مصرتهم مصر حضاريًّا وماديًّا وأثرت فيهم(١٥)، ومن خلال ما سبق يتبين أن استخدام السخرية كأداة للتعبير عن الرأي قد عرفها المصريون منذ القدم وكانت ملازمة للشخصية المصرية علي مر عصورها التاريخية المختلفة، وقد ظهرت تلك الشخصية بشكل جلي أثناء حكم المماليك لمصر، لا سيما خلال العصر الثاني منه الذي عُرف بعصر المماليك الجراكسة.

ثالثًا: أساليب السخرية.

هناك عديد من الأساليب والوسائل المختلفة التي يلجأ إليها الساخر ومنها:

١- السخرية بالمحاكاة أو التقليد الساخر المبالغ فيه، ولا سيما في القبيح منه، فيقوم الساخر بتقليد المسخور منه أو به سواء كان ذلك في المشي أو الحركات الجسدية، وكذلك السمات البارزة التي تميز شخصية ما من الشخصيات؛ كأسلوب ما من أساليب الكناية التي يمتاز بها كاتب من الكتاب، أو خطيب من الخطباء، أو شاعر من الشعراء في قصيدة ما من قصائده، وهذه الطريقة في السخرية أقدم طرق السخرية وأشهرها على الإطلاق(١٦).

٢- المناداة بالألقاب الساخرة أو المعكوسة، وغالبًا ما يستخدم فيها الساخر أسماء الحيوانات كألقاب، كقولهم للسمين: يا درفيل، ثم إطلاق هذا اللفظ

عليه حتى يعرف به، وكذلك الألقاب المعكوسة، وهي عكس ما يتصف به الشخص في الحقيقة، ومع تكرارها تصبح صفة لصيقة به، كإطلاق صفة (الهزيلة النحيفة) على البدينة[١٧].

٣- كذلك السخرية عن طريق الصوت ، ويتم ذلك بتلوينه ورفعه وخفضه وإعطائه نبرات خاصة معروفة يفهمها السامع غالبًا ويعرف صفاتها، كما تتحقق السخرية عن طريق الحركات الساخرة بتحريك عضلات الوجه، وانفراج أساريره، أو بهز الرأس، أو الكتفين، أو بالغمز بالعين، أو بالإشارة باليدين معًا في وجه إنسان ما، برفعها وخفضها؛ سخرية من حماقة ارتكبها أو جرم وقع فيه[١٨]. وهي سخرية تستخدم فيها لغة الجسد بشكل كبير لإيصال رسالة الساخر بمضمونها إلي السامع من المجتمع المحيط به.

٤- التصوير الساخر (الكاريكاتيري)، وهو من صور السخرية المبالغ فيها، وهو وضع الشخص في صور مضحكة: كالمبالغة والتحريف في تصوير عضو من أعضاء الجسم، ومحاولة تشويهه إلى حد ما، بحيث يجعل الشخص كأنه لا يدرك أو يعرف إلا بهذا العيب الذي جسَّده وكبَّره بصورة مضحكة، وهذا النوع من أنواع السخرية يعد من الأساليب الناجحة في الوصول للهدف؛ إلا أنها تحط من قدر الشخصية، وذلك بالتركيز على صفة من صفاتها، أو ملمح من ملامحها[١٩].

٥- التلاعب اللفظي: والأساس فيه هو محاولة المتندر إكساب الألفاظ معاني غير معانيها الواضحة؛ تمويهًا على السامع، وسخرية به، ويكون التلاعب اللفظي: باختصار الفكرة، أو بالإضافة إليها بحيث يخرجها عن معناها الأصلي، أو بتبديل الكلمات المكونة لها، أو بنحت بعض ألفاظها أو بتقسيمها، أو بالعبث بإعجامها[٢٠].

٦- السخرية عن طريق التهكم: وهو من أعمق أساليب السخرية من شخص ما أو وضع ما، وهو وسيلة لتهذيب الفرد والمجتمع، وكذلك السخرية عن طريق اللعب بالألفاظ، أو الرد بالمثل، والمبالغة والتزويد في القول والفعل،

والتلاعب بالمعني كالكناية والتورية والتعريض والإجابة بغير المطلوب(٢١).

فالسخرية وإن ارتبطت دلالتها بالهزأ والتحقير؛ إلا أن إتقانها يستدعي ذكاء وفطنة شديدين لا يتوافران في أي شخص، لذلك تعتبر بعدًا كبيرًا بين المثالية والواقع، فلا يمكن لجميع الناس أن يكونوا ساخرين، وإلا فقدت جودتها، وعلى هذا يمكن القول: إن السخرية فن قائم بذاته، يختص في تأليفه جماعة أو فئة معينة من الناس تستطيع أن تخلط الجد بالهزل بشكل ساخر هادف(٢٢). وهذه الألوان الساخرة بتنوعها وتعددها شوهد في خلال حقب تاريخية كثيرة العديد منها ولا سيما خلال عصر المماليك الجراكسة، فكانت بمثابة قناة إعلامية تبث فكر الساخر علي تنوعه من أجل التعبير عن الرأي وإعلان موقفه من بعض الأمور والقضايا.

رابعًا: السخرية وعصر المماليك الجراكسة بمصر.

١- المماليك الجراكسة وحكم مصر:

إن الشخصية المصرية بهويتها شخصية عميقة الجذور تتوغل في أعماق التاريخ، وتتميز بالمرونة، والقدرة الدائمة على التكيف والتعايش مع المتغيرات السياسية والحضارية، مما جعلها قادرة وبقوة على مواجهة التحديات والصعوبات التي يفرضها عليها كل عصر من العصور التي مرت بها، ومن أمثلة ذلك تحديات السيادة والسيطرة المملوكية الحاكمة بمصر.

والمملوك هو عبد يباع ويشترى، غير أن تلك التسمية اقتصرت على فئة من الرقيق الأبيض من أتراك(٢٣) وصقالبة(٢٤) وغيرهم، يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة البيضاء؛ لتكوين فرق عسكرية خاصة في أيام السلم، وإضافتها إلى الجيش العام أيام الحرب، بالإضافة إلى من كان يرسل منهم كهدايا للخلفاء والوزراء، ومن أتى منهم عن طريق أسرى الحروب، وقد كان المماليك الأتراك والصقالبة أشهر أنواع الرقيق الأبيض في المجتمع الإسلامي(٢٥).

وكان أولئك المماليك من عناصر عرقية مختلفة من الترك والتتار

والمغول والصقالبة والإسبان والألمان والجراكسة وغيرهم من الرقيق البيض؛ بيد أن غالبيتهم في عصر دولة المماليك الأولى (البحرية) كانوا من القفجاق والقوقاز، على حين كان معظمهم في دولة المماليك الثانية (البرجية- الجركسية) من (الجراكسة أو الشراكسة)[٢٦] .

وكان هؤلاء المماليك لا يتم معاملتهم معاملة سائر الرقيق بالخدمة في الأعمال الحقيرة مثل كنس الدار وسياسة الدواب وما أشبه ذلك، وكانوا يتولون مناصب الحكم والقيادة في الدولة[٢٧]، كما كانوا يهتمون بتربيتهم وإعدادهم حربيًّا بشكل صارم، ونظرًا لبراعتهم في هذا المجال صاروا الأداة الحربية الوحيدة في بعض الدول مثل دولة المماليك في مصر والشام، بل وصلوا إلى حكم العالم الإسلامي ومن ثم كان عليهم الحفاظ عليه من الجحافل الصليبية والمغولية، سواء كان ذلك في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨هـ- ١٢٥٨م/٧٨٤هـ/١٣٨٢م) أو المماليك البرجية (٧٨٤هـ/١٣٨٢م/ ٩٢٣هـ/١٥١٧م)[٢٨].

وانقسم المجتمع في مصر والشام خلال عصر المماليك إلى طبقتين متناقضتين تمثلتا في السلطان والرعية على حد قول ابن خلدون[٢٩]؛ فالسلطان في تلك الفترة مثل الجهاز المملوكي الحاكم، بينما تمثلت الرعية في المصريين بجميع فئاتهم، فقد كانت السلطة ممثلة في وظائف الحكم والإدارة العليا في يد المماليك؛ فامتلكوا زمام السلطة السياسية، إلا أنهم كانوا يتصرفون باعتبارهم أقلية عسكرية تحكم على أساس من القوة والغلبة، وتنأى بنفسها عن المشاركة في حياة الرعية سوى المشاركة من خلال المواكب السلطانية والأعياد والاحتفالات الدينية والعامة، أما الرعية التي مثلها المصريون فمن جانبهم لم يروا في المماليك سوى طائفة من الغرباء الذين يحكمونهم بتفويض من الخليفة العباسي الموجود في القاهرة، ويغلب الظن بأن مشاعر الرعية في مصر والشام تجاه المماليك كان مزيجًا من الكراهية السياسية، والعداء الاجتماعي، مع الولاء الديني، وذلك بفضل الواجهة الدينية التي جعلت من المماليك حكامًا شرعيين مفوضين من قبل خليفة المسلمين[٣٠].

وقد ظلت هذه العلاقة التناقضية في أوقات غير قليلة بين المماليك والمصريين خلال عصر المماليك البحرية وازداد هذا التناقض خلال عصر المماليك البرجية، الذين ينتمون إلى العنصر الجركسي[٣١] الذي يعيش في بلاد الكَرَج[٣٢]، وهم عنصر جديد من أصل قوقازي يعيش في القسم الشمالي الغربي لبلاد القوقاز، وفي قسم الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، وقد استكثر منهم السلطان المنصور سيف الدين قلاوون المملوكي (٦٧٨-٦٨٩/١٢٧٩-١٢٩٠م)، وكون منهم فرقة عسكرية متميزة سنة (٦٨١هـ/١٢٨٢م) لتكون درعًا بشريًّا له ولأولاده من بعده، وعونًا له ضد ما يواجهه من عقبات ومشكلات داخلية وخارجية، وتساعده في توطيد حكمه، ولا سيما بعد أن فقد ثقته في المماليك الظاهرية[٣٣]، فاستكثر منهم حتى بلغ عددهم في نهاية عهده ثلاثة آلاف وسبعمائة، وأحسن تربيتهم وأسكنهم في أبراج القلعة، ولذا عرفوا بالبرجية تمييزًا لهم عن المماليك الأتراك الذين سكنوا قلعة جزيرة الروضة[٣٤] وعرفوا بالبحرية[٣٥].

وعرفوا أيضًا بالمماليك الجراكسة؛ لأن معظم سلاطينهم كانوا من الجراكسة، غير أن لفظ "الجركس" لم يطلق عليهم إلا بعد عدة سنوات؛ ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى اثنين من السلاطين هما: خشقدم (٨٦٥هـ-١٤٦٠م/٨٧٢هـ-١٤٦٧م) وتمربغا (جماد أول - رجب ٨٧٢هـ/١٤٦٧م) اللذان كانا من أصل يوناني[٣٦].

وزاد عدد الجراكسة في مصر حتى بلغوا اثنا عشر ألفًا زمن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م) ولعب هؤلاء المماليك دورًا بارزًا في استقرار الحكم في أسرة قلاوون، وظهر نفوذهم عندما دب الضعف في الأسرة القلاوونية، فبرز الأمير برقوق الذي تغلب على محاولات المماليك الأتراك واستطاع في فترة قصيرة أن يصل إلى كبير الأمراء الجراكسة وزعيمهم فتلقب بالظاهر سيف الدين برقوق (٧٨٤هـ-١٣٨٢م)، وبوصوله كانت نهاية أسرة آل قلاوون، ودولة المماليك البحرية ذاتها، وبداية لدولة المماليك البرجية (الجركسية)[٣٧].

وقد حكم المماليك الجراكسة (البرجية) مصر في الفترة من (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) أي: مائة وأربعة وثلاثين سنة، وبلغ عدد سلاطين دولتهم خمسة وعشرين سلطانًا، أشهرهم السلطان الظاهر برقوق الذي استطاع أن ينقل السلطة إلى الجراكسة بطريقة وضحت فيها الاتجاهات العصبية العنصرية التي لم تفارق الجراكسة طوال فترة حكمهم(٣٨).

وعلى الرغم من أن عصر المماليك قد حمل بين طياته كثيرًا من الإيجابيات غير أنه تخلله فترات من السلبيات والتناقضات التي ساهمت بشكل أو بآخر في الضغط على المجتمع المصري بسواده الأعظم، ذلك الشعب الذي ظل يبحث عن الأمن والاستقرار والحياة الكريمة، ومن ثم واجه ذلك بكثير من التحديات التي اختلفت في الشكل والمضمون.

ورغم الدور الذي قام به المماليك الجراكسة في مصر والشام للتصدي للقوى والأخطار الخارجية؛ إلا أن عصرهم لم يخلُ من الفتن والدسائس والمؤامرات، والصراعات المستمرة، ولا سيما في ظل تولي عدد من الأطفال صغار السن السلطة، حتى عرف "بعصر الأوصياء"، الذي كثر فيه العزل والتولية، كما كثرت فيه التمردات في كل من مصر والشام(٣٩)؛ مما أدى إلى إنهاك مصر وأهلها، الذين عانوا كثيرًا جراء التغيرات والمشكلات خلال تلك الفترة؛ فأوجد ذلك نوعًا من المقاومة غير المباشرة التي لجأ إليها المصريون، وقد تمثلت هذه المقاومة في الألفاظ والجمل الساخرة التي أطلقها المصريون على حكامهم من المماليك؛ للتخفيف بها عن أنفسهم، وإلقاء الضوء على السلبيات المختلفة التي عمت مصر في ذلك الوقت، هذه المقاومة التي تجلت فيها الهوية المصرية(٤٠).

مما سبق يتبين أن التنوع في العلاقات بين الشعب وحكامه من المماليك أوجدت حالة من التعبير عن الرأي بطرق عدة، تنوعت تلك الطرق على حسب قوة وطاقة وإمكانية المعارضة السياسية، فجاءت في شكل محاولات للخروج على الحكام وأحيانًا ثورات وتمردات، وجاءت في شكل آخر كان له

دور في بناء الشخصية وصقل الهوية، وهي السخرية للتعبير عن الرأي وعكس شكل النمط السياسي والاجتماعي للمجتمع.

١- أبرز حالات السخرية السياسية في عصر المماليك البرجية بمصر:

والسخرية السياسية هي كل قول أو فعل ساخر يتعلق بالأمور السياسية في مصر خلال عصر المماليك الجراكسة الذي ولد وسط مخاض من الألم والصُراخ، حيث كانت الظروف السياسية التي سبقت تولِيَة السلطان برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) للسلطة كأول سلاطين تلك الحقبة التاريخية؛ ظروفًا يعمها الاضطرابات والصراعات والفتن والدسائس، فلم تشأ الظروف أن يولد حكم برقوق منفردًا؛ بل قاسمه الحكم الأمير بركة[٤١] من خلال اتفاقٍ سياسي تم بينهما ضد باقي المماليك وكان ذلك في عام (٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، فأصبحا صاحبي الأمر والنهي في الدولة[٤٢]، غير أنهما قد استبدا بالأمر، وأسرفا في فرض الضرائب؛ مما أضر المصريين، فأطلقوا بينهم تلك المقولة الساخرة اللاذعة: "**برقوق وبركة نصبا على الدنيا شبكة**"[٤٣]؛ احتجاجًا منهم على هذا الاتفاق الظالم، الذي أضر بهم، وسرعان ما انتشرت تلك المقولة بين العامة حتى أصبحوا يعيرون بها المماليك، الذين قبلوا مضطرين نفوذ الاثنين معًا[٤٤].

ومما سبق يتبين أن هذا النمط اعتاده المصريون وذلك باستخدام السخرية بالأقوال والعبارات ذات الدلالة والرمزية، والتي تجسد رضا أو رفض المصريين لبعض السياسات وتلخيص الحالة السياسية بإيجاز وبعبارات قصيرة ولكنها تحمل بين طياتها الكثير من الدلالات علي تجسيد الوضع ومدي قبول المصريين ورفضهم لهذا الوضع.

وكانت سخرية المصريين ومعايرتهم للمماليك بهذا الشكل الساخر؛ سببًا في إثارة باقي المماليك وغضبهم؛ حتى سعوا في الإيقاع بينهما لإنهاء هذا الأمر، مما نتج عنه وقوع الصراع المسلح بين الأميرين الحاكمين (برقوق وبركة) سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م) انتهى بهروب برقوق ورجاله، وقَتْلِ بركة

وأعوانه، وخلو المسرح السياسي من وجود سلطان للبلاد، وهذا أتاح الفرصة لأمير آخر وهو يلبغا الناصري (ت:٧٩٣هـ/١٣٩٠م) ورجاله من المماليك للظهور في المشهد السياسي والاستئثار بشئون البلاد(٤٥).

غير أن مصر لم تكن يكتب لها بعد بالاستقرار حيث أشاع يلبغا ورجاله الفوضى والفساد فيها حتى إنهم أخذوا النساء من الطرقات والحمامات واعتدوا عليهن، مما جعل الناس في مصر يترحمون على أيام برقوق ويتمنون عودته، وفي خضم تلك المأساة، كانت العبارات الساخرة لا تفارق حناجر المصريين؛ فأطلقوا كلمات واصفين من خلالها حالهم ومعبرين عما بداخلهم، فقالوا ساخرين: "**راح برقوق وغزلانه .. وجا الناصري وتيرانه**(٤٦) في تدفق مستمر وتواصل لنمط السخرية من خلال العبارات والألفاظ والجمل التي تلخص الحالة العامة وتجسد الأحداث السياسية، وفيها أيضا من استخدام رمزية الحيوان لتعكس الأفعال وقد ظهر هذا جليا من برقوق وغزلانه والناصري وتيرانه، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الأمور كانت تسير من سيئ إلى أسوأ، إلا أن تلك العبارة الساخرة التي كانت تحمل المرارة والأسى والرفض الشعبي ليلبغا الناصري وأعوانه؛ أعطت دافعًا قويًّا للمملوك منطاش مملوك السلطان برقوق لكي يتسلح بالشعب الغاضب في محاولة منه لعودة أستاذه برقوق الذي لا زال هاربًا، وقد نجح منطاش في ذلك(٤٧)، وكان الشعب المصري سببًا مباشرًا في هروب برقوق وكذلك عودته سنة (٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، كما كانت دافعًا ودرسًا من المصريين للسلطان برقوق لتغيير سياسته تجاه المصريين عند عودته؛ وبالفعل أخذ يتقرب منهم، ويحتمي بهم؛ كبداية جديدة لدولة جديدة، أصبح السلطان برقوق أول سلاطينها.

وهكذا كانت السخرية المصرية نوعًا من أنواع التحدي المستتر، والمقاومة الشعبية التي لجأ إليها المصريون للتعبير عن الرأي، فكانت سببًا من الأسباب التي أدت في بعض الأوقات إلى إصلاح الوضع السياسي المضطرب في مصر آنذاك، وتعديل النظام السياسي من قبل الحاكم تجاه المصريين،

وقامت بدور أعلامي جيد في تهيئة الرأي العام لقبول التغيير في بعض الأحيان، إلا أن الصراع بين المماليك من أجل البقاء ظل قائمًا.

ومن دلالات العبارة أيضًا أن السلطان برقوق بكل ما حمل من سياسات أغضبت الكثير إلا أنه كان أفضل حالًا برجاله من الناصري، حيث شبه المصريون رجاله بالغزلان وشبهوا رجال الناصري بالثيران، وهذا توصيف للمشهد السياسي آنذاك، وقراءة من المصريين تنم عن الموروث الثقافي للمصريين بما يحمل من دلالات ورمزية؛ فمن سمات الثور العنف والقوة والقسوة مع قلة الفهم.

غير أن هدوء برقوق لم يستمر كثيرًا، وتبدلت الأحوال بعد عودته للحكم، فيذكر ابن إياس: أن السلطان الظاهر برقوق حين عاد إلى السلطة في عام (٧٩٢هـ/١٣٨٩م)؛ بدأ في الانتقام من معارضيه من المماليك، فأخذ في تعذيبهم وسجنهم، ونفي كثير منهم بشكل أدخل الرعب في قلوب الجميع، فكان الناس في مصر سواء من كان منهم من العامة أو العسكر؛ يخافون انتقام السلطان برقوق حتى بلغ الحال بهم إلى أنهم إذا ذهبوا إلى الفاكهاني لشراء البرقوق قالوا له: "عندك شقير"، والشقير هو اللون الأشقر المختلط بالحمرة؛ أي: لون البرقوق، ولا يقولون برقوق صراحة؛ تعظيمًا للسلطان، أو خوفًا من عقابه إذا شعر بالسخرية فيها ولكنهم في بعض الأوقات التي شهدت تصرفات مضطربة للسلطان برقوق استخدموا هذا الإسم للسخرية، وهذا اللفظ في اللغة يطلق أيضًا على الحرباء المتقلبة الألوان، فإذا كان ظاهر القول حفاظًا علي اسم برقوق وتعظيم شأنه لكن باطنه يعلن فيه المصري عن توصيف للشخصية المفتقدة للاتزان سريعة التغير، وهذا إن دل فإنما يدل على تشبيه تصرفات السلطان برقوق بالتقلب والتغير المستمر، وتعكس الصورة المضربة المصطحبة بحالة من الذعر والرعب من عقاب السلطان، وأيا ما كان الأمر فإن إطلاق لفظة شقير كناية عن البرقوق تحمل بين طياتها سخرية مستترة من السلطان واسمه وفعله[٤٨]، وتصف تقلباته السياسية، ورغم بساطة اللفظة إلا أن لها دلالة

جسدت سياسات السلطان المملوكي ورأي المصريين فيها.

ولم يقف الشعب المصري صامتًا أمام تلك الأحداث السياسية المملوكية التي كان الصراع هو السمة الأساسية لها، فلم يكد أمر برقوق يستقر حتى تمرد عليه مملوكه منطاش، فوقع النزاع بينهما، مما اضطر منطاش للهروب من المشهد تمامًا[٤٩]، وعلي إثر هذه الأحداث بدأ الشعب المصري يعبر واصفًا تلك الحالة السياسية ساخرًا منها، فأخذ المصريون يرددون:

من الكرك جانا الظاهر وجَب معو أسد الغابة

ودولتك يا أمير منطاش ما كانت إلا كذابة[٥٠]

ومن العبارات والجمل والكلمات إلى السجع وأبيات الشعر التي يسهل حفظها، تواصل السخرية دورها في نقل نبض المجتمع، وتقييمه للسياسة، وتظهر إلى حد كبير هوية المجتمع المصري وتحدياته؛ لرفض كل ظلم في سبيل الوصول إلى العدل.

وصارت السخرية جزءًا لا يتجزأ من الشخصية المصرية، فشكلت مع غيرها من باقي المقومات هوية المجتمع المصري، ذات الملامح السياسية والحضارية الواضحة، التي أصبحت بمثابة الإعلان عن رفض أو قبول السياسات المتبعة من قبل الحكام.

لم يقتصر سخرية العامة على السلاطين من المماليك فحسب؛ بل كانت عباراتهم اللاذعة تنطلق كلما تعرضوا لأذى أو ظلم أو شاهدوا وضعًا شاذًّا، ولا سيما من نواب السلطنة أو رجال السلطان من المماليك البرجية، ففي نيابة علي باي بن برقوق الذي كان يتصرف تصرفات غير مسئولة، ويجري وراء العامة في الشوارع كالمجنون، أطلق عليه العامة لفظة زلابية، على سبيل السخرية من تصرفاته تشبيها له بأحد الأتراك المضحكين، فكان كما ذكروا ذلك يجري وراءهم ويرجمهم[٥١]، وعلى إثر ذلك، فقد شبهه الشعراء بمن يدعى: زلابية، وقد صح تشبيههم له ورددوا:

والأب برقوق لكن فاتهم في الوز نسبته فإن اسم أبيه نصفه قوق[٥٢].

وهذه أنماط متعددة للسخرية منها الألقاب الساخرة واستخدام نبرات الصوت والتلاعب اللفظي، والتهكم فقد حوي هذا البيت ألوان كثيرة أتقن المصريون استخدامها في السخرية وهذا يعكس المهارة الأكبر لديهم حتي وإن قلت كلماتهم زادت الدلالات والرمزية الدالة عليها.

هذا ولم يسلم القضاة من السخرية والهجاء، فقد تولي القاضي شهاب الدين أحمد نصر بن خليفة بن فرج الباعوني[٥٣] الشافعي؛ الذي تولي قضاء الشافعية بمصر في أيام الخليفة العباسي المستعين، وسلطنة المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، وكان ذلك عام (٨١٥هـ/١٤١٢م) غير أنه لم يستمر بها كثيرًا فقد مكث فيها شهرًا وعُزل عنها قبل بلوغ الشهرين، وأعيد لها الجلال البلقيني[٥٤]، وكان أهل مصر يتعصبون لجلال الدين البلقيني لذلك فقد هجوا الباعوني غضبًا واستنكارًا له، وكان الباعوني هذا من دمشق فقالوا:

يقول: المسجد الأقصى لو أن الناس راعوني

لما جبوا لمحرابي يهوديًا وباعوني[٥٥]

وعندما شرع السلطان المؤيد شيخ في بناء جامعه اختار له مكانا داخل باب زويلة كان موضعًا لقيسارية الأمير سنقر الأشقر، وكان خلفه سجن القاهرة المعروف بخزانة شمايل، وكان المؤيد شيخ من جملة من سجن بها، لذلك فقد نذر أثناء سجنه بها أنه إن بقي سلطانا أن يهدم هذه الخزانة ويبني مكانها مسجدًا، وقد فعل ذلك بالفعل، غير أن هذا البناء قد أضر بالناس ضررًا بالغًا، وخربت من أجله دور كثيرة؛ للحصول منها على الرخام اللازم للبناء؛ فكان والي القاهرة يهجم على الناس في بيوتهم، ومعه المرخمون، فيخلع رخام بيوتها طوعًا وكرهًا، فأخذ الناس يرددون في ذلك:

بنى جامعًا لله من غير حلة فجاء بحمد الله غير موفق

كمطعمة الأيتام من كد فرجها فليتك لا تزني ولا تتصدق[٥٦].

وعلى ضوء ما سبق يتضح أن المجتمع المصري كان يمتلك الوعي السياسي، والقراءة الجيدة للأحداث، ومن أجل ذلك أخذ في البحث عن الوسائل المختلفة ضد كل ما هو مستنكر وأبدع في وسائله، فكانت السخرية إحدى الوسائل التي أبدع من خلالها للإعلان عن رأيه وموقفه، وإثبات ذاته، وفي الوقت نفسه أعلن من خلالها عن السياسات القائمة من قبل المماليك، وهذا من إحدى مميزات الشخصية المصرية صاحبة الهوية المتفردة.

وفي سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م) خرج السلطان المؤيد شيخ إلى البلاد الشامية بسبب عصيان النواب عليه وقتال الأمير قاني باي نائب الشام ومن معه، وكان السلطان قد بني جسرًا من آخر خرطوم الروضة إلى جزيرة أروى (المعروفة بالوسطي)[٥٧]؛ ليدخل الماء إلى خليج الزربية[٥٨]، غير أن زيادة النيل قد قضت على الجسر، وعندما هبط النيل ظهر مكانه مرتفعات من الرمال تزاحم الناس لمشاهدتها، ونصب الأهالي خيامًا بجانب الجسر على شاطئ الروضة والمنشية، وساعدهم على ذلك غياب العسكر مع السلطان في حملته على الشام، وأخذ الناس في تصنيف أغنية وبدأوا في ترديدها كنوع من السخرية التي وصفت حالهم آنذاك يقولون فيها:

يا رايح الشام غادي سلم وبوس الأيادي
وقل لجيش المؤيد آدي الحريم في الكوادي[٥٩].

وفي أثناء الصراع القائم بين المماليك لتولي السلطنة، والذي أسفر في النهاية عن تولي الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م) بعد أن تولى أربعة من المماليك في عام واحد وهم: المؤيّد في أولها، ثم ولده المظفَّر، ثم الظاهر ططر، ثم ولده الصالح؛ الأمر الذي عدَّه المصريون نادرة من نوادر ذاك الزمان، وضجوا من ذلك، ورددوا: "**أربع سلاطين في سنة، وإيش دا العينة**"[٦٠]، ويبدو أن ابن إياس قد تأثر في كتاباته بلغة الأتراك لأن كلمة "إيش" لم تكن من مفردات لغة المصريين.

ويذكر المقريزي أن الأمير قرقماس أمير السلاح في سلطنة برسباي، كان مكروهًا من العامة، وأنه كان من الكبر والزهو والإعجاب وفرط الرقاعة على جانب كبير مع العسف والجبروت وشدة البطش؛ بحيث كان إذا عاقب يضرب الألف ضربة ويزيد؛ فعوقب من جنس فعله، وصار مع ذلك مثلًا فلقد أقامت العامة مدة تجهر في الأسواق بقولها لمن تدعو عليه: "لك ذلة قرقماس: على سبيل السخرية الممزوجة بالحسرة والألم وقلة الحيلة، وعندما ضاق الناس به ذراعا صاروا يرددون في الأسواق: "**الفقر والإفلاس ولا ذلتك يا قرقماس**"[٦١]. وفي قراءة متأنية لهذه العبارة الساخرة يتبين أن المصريين عانوا من معاملة الأمير قرماش وبطشه وظلمه وجوره وعدم اتزان شخصيته، مما جعل الفقر والعوز والإفلاس لديهم أهون من الذل والهوان التي تحدث لهم إذا وقعوا ضحايا له.

وفي العام (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) عمت الفتنة مصر، وذلك بسبب الصراع بين قرقماس هذا وبين السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٩-١٤٥٣م) على الحكم؛ كعادة المماليك، والذي انتهى بنصرة جقمق وهروب قرقماس إلى أن طلب الأخير الأمان من السلطان، غير أن جقمق أمر بالقبض عليه وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية[٦٢]، فخمدت فتنته كأنها لم تكن، إلا أن العامة في مصر قاموا بتصنيف غنوة أخذوا في ترديدها كنوع من أنواع السخرية من الأحداث التي جرت معبرين عن امتعاضهم وكرههم لقرقماس؛ فقالوا: " **يا قرقماس إفوا عليك عملت عملة وجت عليك** "[٦٣]، وصاروا يتغنون بها في كل مكان فرحين بما حدث لقرقماس، وكانت تلك الحادثة أول الحوادث في دولة الظاهر جقمق على حد قول ابن إياس، وكانت النتيجة نزول الأتابكي قرقماس من القلعة مقيدًا بالحديد متجهًا إلى الحراقة ليذهبوا به إلى سجن الإسكندرية، وعندها قام العامة بسبه ولعنه وقذفه حتى كادوا يقتلونه رجمًا من شده كرههم له[٦٤].

مما سبق يتبين مدى دقة المصريين في استخدام سلاح السخرية، فهو

يعكس القراءة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للحالة الموجودة بالبلاد بسبب أصحاب السلطة والنفوذ، ويشير أيضًا إلى الالتزام الأخلاقي من عدمه، وهذا يدل على خبرة المصريين وامتلاكهم لثروة هائلة من الكلمات والجمل والعبارات الهادفة وان كانت في ظاهرها تتلون بلون ساخر.

واستمرت سياسة المصريين في معارضتهم المستترة الساخرة للتعبير عن امتعاضهم من الأحداث التي تجري في الدولة، ففي أواخر عام (٨٤٤هـ/١٤٤١م) تولى القاضي بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادي[٦٥] قضاء الحنابلة عوضًا عن القاضي الششتري (التستري)[٦٦] بعد وفاته، وبالرغم من أن البدر كان من أهل العلم والفضل إلا أنه لم يسلم من سخرية المصريين، فقد كان أعورًا بإحدى عينيه لذلك قالوا فيه:

لا تصحبن أعورًا وإن تناها زيُّه

لو كان فيه راحة ما فارقته عينه[٦٧]

وفي هذا النمط من السخرية الكثير من الدلالات ومنها أن هذا الشخص وصل لدرجة من السوء وعدم القدرة علي تحمله حتي إن أعضاءه نفسها ضجرت منه وفضلت الرحيل عنه بدلا من البقاء معه.

ولما تولى المعلم محمد البباوي[٦٨] أمر الوزارة سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، ولم يكن له خبرة بذلك حيث كان يعمل طباخًا من معاملي اللحم وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، ولا ينطق بحرف من حروف الهجاء، إلا إن كان تلقينًا، وكان في كلامه غرثلة وعنده غطرسة، غير منسق في زيه فحط من أمر الوزارة، وكرهه الناس؛ لسوء أخلاقه، وسوء تصرفاته، فأخذ في مصادرة جماعة من المباشرين والتجار، وكان يهدم البيوت على الناس في أيام فيضان النيل، وجاء عليهم مجيئًا فاحشًا، فكان ظالما عسوفًا، لا يعرف الفضيلة كما وصفه ابن إياس، ولذلك كرهه الناس وهجوه قائلين:

قـــالوا عـــن البيـــاوي قـــد وزر فقلـــــت كـــــلا لا وزر
الدهـــــــــر كالـــــــــدولاب لا يـــــدور إلا بـــــالبقر[٦٩]

إن توسيد الأمر لغير أهله وعدم الاعتماد علي الكفاءات جعل المصريين يسخرون مستخدمين في ذلك الاقتباس من القرآن الكريم وكذلك ألفاظ السب والهجاء وتشبيه بالحيوانات التي لا عقل لها فهي تدور دون علم لها إلي أين ومتي تصل.

ويذكر ابن تغري بردي أن تولية البباوي للوزارة في الدولة المملوكية، كان من أقبح الأمور التي وقعت بالديار المصرية، فكان ذلك أدهى وأمر، وعارًا على مملكة مصر إلى يوم القيامة[٧٠]، وقد استمر ظلم وجور الوزير البباوي للمصريين حتى جاء عقاب الله سبحانه بغتة؛ فمات غرقًا في النيل، وكان ذلك سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٤م)، وكان في غرقه عبرة وعظة، فقال الناس فيه مرددين:

لا تكرهوا الموت فان فيه حصاد كل امرئ خبيث
فمستريح ومستراح منه كما جاء في الحديث[٧١]

أما في سلطنة الظاهر سيف الدين يلباي المؤيدي (٨٧٢هـ/١٤٦٨م)، الذي عرف بضعف شخصيته حتى إنه لما تولى المنصب كان كبيرًا عليه فصار كالمذهول، ولزم السكوت وقلل من الكلام، وصار الأمير خير بك الدوادار الثاني هو صاحب الحل والعقد في مملكته، وإليه جميع أمور المملكة، فسار مسلوب الإرادة معه، وقد شاع ذلك في الناس، فكان السلطان إذا سُئِل في شيء يقول: "**إيش كنت أنا، قل له**" يعني: **قل لخير بك**، وقد سخر منه عامة المصريين وأسموه: "**قل له**"، وذلك على سبيل السخرية منه ومن ضعف شخصيته، وبهذا اضطربت أحوال الديار المصرية، وقد عُرف يلباي أيضًا بشرهه مع قلة خبرته، ورغم قصر مدة سلطنته إلا أنه كان سيئ الأخلاق، سيئ الطباع، مقيت اللسان، بخيلًا، ليس له من السلطة سوى اسمها، حتى أطلق

عليه المصريون: "**المجنون**" فعرف بينهم بهذا أيضًا(٧٢).

هكذا وجد المصريون في عبارات السخرية وحياة المرح نوعًا من التنفيس عما كانوا يتعرضون له من شدائد وحرمان، وأوضاع غير مستقرة، وظهرت هذه الروح قوية واضحة في بعض الألقاب التي خلعها عامة الناس على بعض أمراء المماليك، وتبدو هذه الروح قوية واضحة في البلاليق، وهي نوع من أنواع النظم عرفت في ذلك العصر، تمتاز بخفة الروح وتتضمن كثيرًا من المداعبات والفكاهة، وهكذا نلاحظ أن روح المرح لم تقتصر على فئة دون أخرى من فئات المجتمع المصري في عصر المماليك الجراكسة؛ بل شملت جميع الفئات وطبقات المجتمع حتى المحافظين من الفقهاء وأهل العلم(٧٣).

وبرغم رصد الدراسة لأنماط السخرية، وكيفية التعبير عن الرأي من قبل المصريين، إلا أن هذا لا يعني أن عصر المماليك الجراكسة عرف عنه الفساد وكثرة السلبيات وفقط، ولكن هذا العصر زخر بالإيجابيات أيضًا، فكانت فيه نهضة علمية ومعمارية وحضارية في نواحٍ شتى، غير أن السخرية كانت أحد أسلحة ذلك العصر لتقييم الموقف والتعبير عن الرأي، لذا فعصر المماليك الجراكسة في مصر، كغيره من العصور له ما له وعليه ما عليه.

٢- السخرية من الإدارة السياسية للحياة الاقتصادية:

وأيضًا يتضح مما سبق أن أساليب السخرية قد لازمت كل الفترات التاريخية خلال العصر المملوكي بما يعني أن المصري متابع جيد للأحداث وغير منفصل عن الواقع ويستطيع التعبير عن ذاته ومواقفه وإرادته، وكذلك يبدي اعتراضه من خلال لون ساخر امتاز به منذ ظهوره علي مسرح الأحداث التاريخية.

ومثلما كانت الاضطرابات السياسية سببًا من أسباب إطلاق العبارات المصرية الساخرة، كان العامل الاقتصادي أيضًا من أشد الأسباب التي حركت المشاعر المصرية، وأفرزت أشد العبارات الساخرة، التي عبرت بشكل أو بآخر

عن المعاناة التي تعرض لها الشعب المصري خلال تلك الفترة، فعلي سبيل المثال في سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م) أقر الأمير جركس الخليلي (ت:٧٩١هـ/١٣٨٨م) فلوسًا جددًا من الفلوس العتق، منها فلس زنته أوقيّة بربع درهم، وفلس زنته نصف أوقيَّة، وفلس بفلسين، ونقش اسمه عليها، فلما كان ذلك تعطلت أحوال الناس، وارتفعت الأسعار، وقَلَّت الأقوات؛ فقال الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار في ذلك:

تغيير عتق فلوس قد أضرّ فكم حوادث جدد جلّت من العدد

فكيف تمشى علاقات الأنام إذا والحال واقفة بالعتق والجدد(٧٤)

وردد العامة: **الخليلي من عكسو، نقش اسمو على فلسو**، فلمَّا بلغ الأتابك برقوق ذلك، أمر بإبطالها(٧٥).

وعلى ما يبدو أن هذا الحادث لم يكن الأخير للأمير جركس ففي عام (٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، أمر السلطان برقوق الأمير جركس الخليلي بضرب طراز جديد من النقود الفضة، تحمل اسم السلطان برقوق وعبارة "عز نصره" أسفلها في سطرين متوازيين داخل دائرة صغيرة بمركز الوجه(٧٦)، غير أن الشعب المصري كعادته سخر منها وتفاءلوا بحبس السلطان برقوق وقالوا ساخرين: إن هذا نذير شؤم على السلطان حيث تدور عليه الدائرة ويحبس، وكان هذا سببًا في إبطال هذا الأمر(٧٧).

كذلك لم يقتصر الأمر على سلاطين المماليك فحسب، بل نالت سخرية المصريين كل من كانت له سلطة الكلمة والتحكم في الدولة، ولا سيما إذا كان السلطان طفلًا، ومن يتحكم في الأمر هم رجال الدولة.

وفي سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م) وقع الغلاء بالديار المصرية، وعز وجود القمح، وقد عَمَّ هذا الأمر الأراضي الشامية وما حولها أيضًا، وهلكت البهائم، وقلت الألبان والأجبان من القاهرة، واستمر الحال يسير في كل يوم من سيئ إلى أسوأ؛ فضج الناس من ذلك ورددوا:

وما منة الخباز عندي قليلة لقرضي منه وهو عن عسرتي يغضي
وقد كنت مثل الليث أكلي فريسة وقد صرت مثل الفأر أكلي بالقرض(٧٨).

ساخرين من الأحوال السيئة التي آلت إليها أمورهم، ونادى السلطان في الناس بملازمة الصلاة في أوقاتها، وألا يتكاسلوا عن ذلك، ثم أخذ في جمع الفقراء، ووزع عليهم الخبز في كل يوم أثناء هذا الغلاء.

ويؤكد ذلك سوء الأحوال الاقتصادية، وعدم رضا المصريين عن الأحوال المعيشية التي كانت تسير من سيئ إلى أسوأ، وهكذا وكما كان للمصريين بصمتهم التي ظهرت من خلال السخرية كنوع من القراءة السياسية للأحداث، كانت لهم بصمة أخرى في الحديث عن الاقتصاد وأحواله وأزماته، وكل يعكس التخبط في قرارات الحكام في ذلك الوقت.

وفي عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) حاصر المماليك قلعة آمد ونصبوا عليها المجانيق، ولما طال الحصار قلق العسكر، وانقلبوا على السلطان برسباي، ولما تحقق السلطان من ذلك عزم على الرحيل من آمد، وتوجه إلى حلب، وفي هذه الأثناء وقع الغلاء بآمد، وعزَّت الأقوات، حتى ندر علف البهائم والخيل، فضج العسكر من ذلك، وصنفوا في ذلك غنوة، يسخرون من خلالها من حالهم، وعلى ما يبدو أنهم قد تأثروا بالمصريين، وأخذوا في التعبير عن حالهم بالسخرية والتهكم، فرددوا:

في آمد رأينا العونة في كل خيمة مرجونة
الغلام نهاروا يطحن والجندي يجيب المونة(٧٩)

ومن المبكيات المضحكات ما حدث من أمر النيل عام (٨٤١هـ/١٤٣٧م)، إذ نودي في الشوارع المصرية أن مبلغ زيادة النيل هو أصبع من إحدى وعشرين ذراعًا، وكان ذلك في أول يوم من توت، وهو يوم النيروز، فعده المصريون من النوادر، وسخروا من ذلك مرددين:

أري النيل قد أوفى وزاد ولم يزل يجود على أهل القري بالمكارم

أفاض عليها الماء من بسط راحة أصابعها فاقت أيادي حاتم(٨٠)

وفي عام (٨٤٤هـ/١٤٤١م) أوفي النيل في غير أوانه، حيث أوفي في السابع والعشرين من شهر أبيب، فعد المصريون ذلك من النوادر، وكان عندهم من الأيام المشهودة، وصاروا يرددون في الشوارع: "**النيل أوفي في أبيب، خش يا حبيب**" وأخذوا في تلحينه(٨١).

وتكرر الأمر في سلطنة الأشرف قايتباي، وجاء وفاء النيل في آخر يوم من أبيب، وكُسر (تراجع) في أول يوم من مسرى، فتندر المصريون بذلك وقالوا:

إن بحر النيل قد وفا لنا ما عليه من قديم قُررا

وقضانا الدين إلا أنه حين وفا ما عليه انكسرا(٨٢)

والملاحظ أن أسلوب السخرية ثابت وإن تغير الحدث نجد استخدام الجمل والشعر والتعبيرات اللفظية ذات الدلالات قد استخدمت في النواحي السياسية وكذلك الاقتصادية، وما يحدث هو تطويع له ليناسب الحدث ، فالمصري لديه رسالة يريد الوصول بها للتعبير عن ذاته وكذلك رفضه لبعض الأوضاع الخاطئة في الحياة العامة الذي هو جزء منها.

على أن خضوع مصر لأرستقراطية حاكمة من المماليك –إن جاز التعبير– تفننت في استغلال البلاد وأهلها في كثير من الأحيان، لم يُفقد المصريين روح المرح التي عرفوا بها في كل زمان ومكان، هذه الروح التي أدهشت ابن خلدون عندما سأل من زار مصر قبله، فوصف أهلها بقوله: " كأنما انطلق أهله من الحساب"(٨٣)، وفي رواية المقريزي عنه: "كأنما فرغوا من الحساب"(٨٤)، ومهما يكن الأمر، فإن هذه الروح لم يضعفها حرمان الأهالي من المشاركة في حكم بلادهم أو قسوة الحكام في عقاب من خرج عن طاعتهم من أبناء البلاد، أو حتى الأوبئة التي تعرضت لها البلاد بين حين وآخر في عصر المماليك(٨٥)، ومن ذلك ما قيل أثناء الوباء الذي اجتاح البلاد سنة

(٨٥٣هـ/١٤٤٩م) وهو الوباء الذي كان يحصد من أهل القاهرة في اليوم الواحد عشرة آلاف شخص فشوهد الناس في شوارع القاهرة وهم يضحكون ويهزلون[٨٦]، ومبدأهم في ذلك هو حمد الله، "الذي جعل المزاج سلوة الهم والارتواح"[٨٧].

وفي سنة (٨٦١هـ/١٤٥٨م) خلال عهد السلطان إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦٠م)، انتشرت مظاهر الفساد في مصر، وارتفعت الأسعار، وقلَّ وجود الخبز في الأسواق، وحلت العملة المغشوشة محل العملة السليمة بموافقة من السلطان وقضاته، فسبكت الفضة المضروبة في كل دولة، وكثر تجارها، ومُلئت الأسواق بها، وشقَّ ذلك على الناس؛ لكثرة معاملاتهم بهذه الفضة المغشوشة، فأطلق الناس في الحال عبارات ساخرة تلقي بالاتهام على السلطان وقضاته في محاولة منهم لوضع حد لما يحدث، فرددوا: "**السلطان من عكسه أبطل نصفه**" و "**إذا كان نصفك إينالي لا تقف على دكاني**"[٨٨]، وعلى الرغم من تلك الكلمات التي افتقدت إلى الوزن والقافية إلا أنها أتت بثمارها، ولا سيما في ظل الخلاف الذي كان بين المماليك والسلطان، مما جعلهم يثيرون الفتنة باستمرار، وقد خشي السلطان إينال من نجاح فتنهم إذا ما انضم العوام لهم؛ فصدرت القرارات بإصلاح الأمر، ونودي في شوارع القاهرة، بإبطال التعامل بتلك العملة[٨٩]، وضربت نقود جديدة خالية من الغش.

وهو الأمر على سرعة بديهة وسرعة في رد الفعل المصري، فبمجرد الشعور بالأزمة سطرت العبارات المعبرة عن الحدث، والتي تحمل قراءة سياسية جيدة، وتعبير عن موقف المجتمع من الأمر سياسيًّا كان أم اقتصاديًّا أم اجتماعيًّا، والملاحظ أن تلك العبارات تتميز بالاختصار والإيجاز والسجع والفكاهة وخفة الظل، وهو ما يُشَبَّهُ حديثًا بالكوميديا السوداء.

وفي عام (٩١١هـ/١٥٠٩م) وأثناء سلطنة قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) عانى المصريون كثيرًا من تعسف المماليك معهم، وكان ذلك بسبب تخزين الدريس (علف الدواب)، ففي هذا العام صار المماليك

يقبضون على الناس من الطرقات غصبًا ويحبسونهم عندهم أيامًا ليقوموا بنقل الدريس إلى بيوتهم ؛ فتعطلت أحوال الناس، وضاقوا بما فعل المماليك معهم، غير أنهم قد صنفوا أغنية يرددونها في الشوارع، تعبر عن حالهم السيئ فقالوا ساخرين: "**اهرب يا تعيس وإلا يحملوك الدريس**"(٩٠).

كانت هذه بعض النماذج والأمثلة للسخرية ودورها في التحديات المصرية خلال عصر المماليك الجراكسة، وما تميزت به من إبراز للهوية المصرية، التي أظهرت نمطًا متفردًا في القراءة السياسية، وهو الأمر الذي يدفع الإنسان بعد أن يفرغ من الضحك الساخر إلى الدخول في تفكير عميق في الأحداث، ومعه يزداد الوعي السياسي والفهم والإدراك لما يدور حوله، علَّه يصل لحل أزماته ومشاكله ومواجهة عدوه وإيجاد حلول لمشاكله .

شهد عصر المماليك الجراكسة حالة من الحراك السياسي داخل البلاد وكان لها ما لها وعليها ما عليها ولكنها عكست وعي المصريين في التعامل مع المواقف والأزمات وقدموا نماذج ساخرة متنوعة للتعبير عن آرائهم ومدي قبولهم أو رفضهم لما يدور حولهم من أحداث، وهذا يدل علي نجاح المصري في تكوين شخصية ذات ملامح واضحة وهوية ثابتة تميزها عن غيرها من الشخصيات الأخرى.

الخاتمة

ونستنتج من خلال البحث أن:

- السخرية ليست تنكيتًا ساذجًا على ظاهر الأشياء، لكنها تعد نوعًا خاصًّا من التحليل العميق والقراءة المتأنية، التي تحمل مضمونًا يتعلق بالنظام القائم وسياساته وهي حالة من حالات التعبير عن الرأي.
- تعد السخرية نوعًا من أنواع الأدب الشعبي، التي تعبر عن هوية مجتمع ما، وكثيرًا ما تستخدم كنوع من أنواع التحدي والمقاومة الشعبية الواعية، التي يعبر بها الساخر عن مكنونه التاريخي والثقافي؛ فيلبي بها حاجته الروحية من خلال التعبير عن نفسه.

- السخرية لا تعني أن المجتمع مسطح ولا مهرج؛ لكنها تقدم نماذج لإنارة العقل، وإذكاء الوعي وتعرية الإخفاق الإداري والسياسي أمام الرأي العام، وهي جزء من مكونات الشخصية المصرية ذات الهوية المتميزة.
- على الرغم من قوة وسرعة رد فعل السخرية من قبل المصريين، وكذلك تأثيرها القوي على القرارات السياسية للحكام؛ إلا أنها في أغلب الأحيان تكون كالابن غير الشرعي مجهول الأب لا يعرف من قائلها، أو إلى أي مصدر تنسب، ولكنها سرعان ما تنتشر كالنار في الهشيم.
- كانت السخرية بمثابة المرآة العاكسة للحالة السياسية والحضارية التي يعيشها المجتمع؛ بل كانت سلاحًا قويًّا استخدمه المصريون ضد كل فساد تعرضوا له من قبل الحكام.
- اتسم عصر المماليك الجراكسة بعديد من الجوانب الإيجابية، منها: تشجيع السلاطين للعلم والأدب، وبناء المساجد والمدارس والمؤسسات الخيرية، وكان لهم دور في حماية بلاد الشام من أطماع الملك التتري المسلم تيمورلنك وألحقوا به ضربة موجهة، كما وجهوا ضربات أخرى للقوي الصليبية المجاورة لهم في جزر البحر المتوسط، ومع ذلك لم يخل عصرهم من الدسائس والمؤامرات والصراعات المستمرة، وكانت السخرية سلاحًا من بين الأسلحة الأخرى التي استخدمها المصريون لمواجهة تلك المفاسد.
- **وتوصي الدراسة بإعادة قراءة الأحداث التاريخية من وجهة نظر ومنظور اجتماعي يعتمد علي النقد والتحليل؛ ليعكس الصورة الحقيقية للأحداث قدر المستطاع.**
- **كذلك عمل مزيد من الدراسات الاجتماعية واتخاذ العبرة والعظة وحسن التعامل مع المستقبل من واقع الدراسات العلمية واستشراف الحلول المنهجية.**

- الملاحق

١- قائمة بأسماء المماليك الجراكسة وفترة حكمهم[٩١].

الرقم	السلطان	سنوات الحكم		ملاحظات
		هجري	ميلادي	
١	الظاهر سيف الدين برقوق حاجي بن شعبان عودة الظاهر برقوق	٧٨٤-٧٩١هـ ٧٩١-٧٩٢هـ ٧٩٢-٨٠١هـ	١٣٨٢-١٣٨٨م ١٣٨٨-١٣٨٩م ١٣٨٩-١٣٩٨م	
٢	فرج بن برقوق	٨٠١-٨٠٨هـ	١٣٩٨-١٤٠٥م	
٣	عبد العزيز بن برقوق عودة فرج بن برقوق	ربيع الأول- جمادى الآخر ٨٠٨هـ ٨٠٨-٨١٥هـ	١٤٠٥م ١٤٠٥-١٤١٢م	خلال سلطنة فرج الثانية أعلن جكم العوضي سلطنته في حلب بالشام (٨١٠هـ) وتلقب بالملك العادل لمدة شهرين
٤	الخليفة العباسي المستعين	محرم-شعبان ٨١٥هـ	١٤١٢م	
٥	المؤيد شيخ المحمودي	٨١٥-٨٢٤هـ	١٤١٢-١٤٢١م	
٦	أحمد بن المؤيد شيخ	محرم-شعبان ٨٢٤هـ	١٤٢١م	
٧	ططر	شعبان-ذي الحجة ٨٢٤هـ	١٤٢١م	حكم ٩٤ يومًا
٨	محمد بن ططر	٨٢٤-٨٢٥هـ	١٤٢١-١٤٢٢م	
٩	الأشرف برسباي	٨٢٥-٨٤١هـ	١٤٢٢-١٤٣٧م	
١٠	يوسف بن برسباي	٨٤١-٨٤٢هـ	١٤٣٨-١٤٣٩م	
١١	سيف الدين جقمق	٨٤٢-٨٥٧هـ	١٤٣٩-١٤٥٣م	
١٢	عثمان بن جقمق	محرم-ربيع الأول ٨٥٧هـ	١٤٥٣م	
١٣	إينال	٨٥٧-٨٦٥هـ	١٤٥٣-١٤٦٠م	

١٤	أحمد بن إينال	محرم-رمضان ٨٦٥هـ	١٤٦٠م	
١٥	خشقدم	٨٦٥-٨٧٢هـ	١٤٦٠-١٤٦٨م	
١٦	يلباي المؤيدي	ربيع الأول- جمادى الأولى ٨٧٢هـ	١٤٦٨م	
١٧	تمربغا	جماد الأولى- رجب ٨٧٢هـ	١٤٦٨م	عزله خير بك وتسلطن ليلة واحدة في رجب
١٨	الأشرف قايتباي	٨٧٢-٩٠١هـ	١٤٦٨-١٤٩٦م	
١٩	محمد بن قايتباي	٩٠١-٩٠٢هـ	١٤٩٦-١٤٩٧م	
٢٠	قانصوة خمسمائة عودة محمد بن قايتباي	٢٨ جمادى الأولى-أول جمادى الآخر ٩٠٢هـ ٩٠٢-٩٠٤هـ	١٤٩٧م ١٤٩٧-١٤٩٨م	حكم ثلاثة أيام
٢١	قانصوة الأشرفي	٩٠٤-٩٠٥هـ	١٤٩٨-١٥٠٠م	
٢٢	جانبلاط	٩٠٥-٩٠٦هـ	١٥٠٠-١٥٠١م	خلال سلطنة جانبلاط أعلن قصروه سلطنته بالملك العادل
٢٣	طومانباي الأول	جمادى الآخر- شوال ٩٠٦هـ	١٥٠١م	
٢٤	قانصوة الغوري	٩٠٦-٩٢٢هـ	١٥٠١-١٥١٦م	
٢٥	طومانباي الثاني	٩٢٢-٩٢٣هـ	١٥١٦-١٥١٧م	

٢- خريطة مصر والشام في عصر المماليك الجراكسة

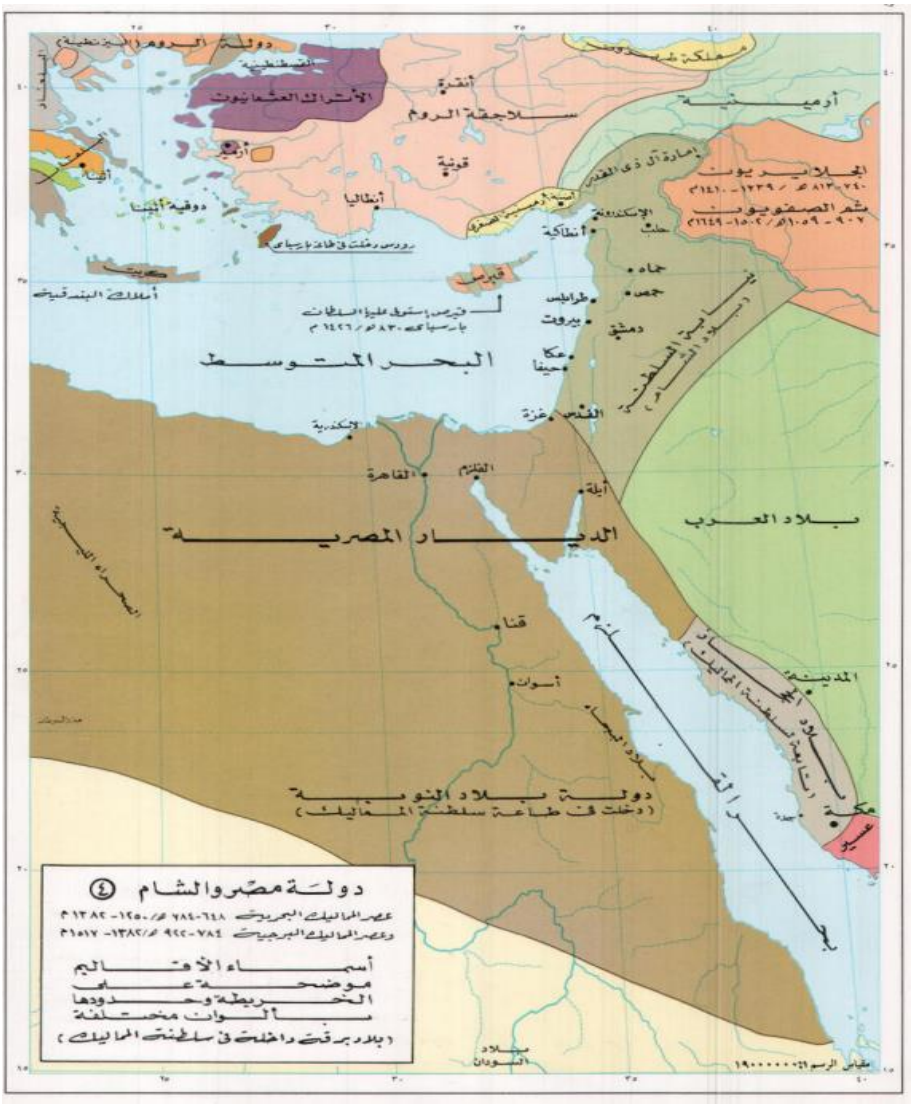

خريطة مصر والشام في العصر المملوكي.

حسين مؤنس: ***أطلس تاريخ الإسلام***، (الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، **١٩٨٧م)، ص٣٠٥.**

الهوامش:

(١) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ت: ٧١١هـ): ***لسان العرب***، ج٤، فصل: السين المهملة، مادة: سخر، (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ)، **ص٣٥٢**؛ سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين دراسة وتحليل ونقد***، (العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ٢٠٠٩م)، **ص١٩**.

(٢) الخليل بن أحمد (الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ت: ١٧٠هـ): ***كتاب العين***، ج٤، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت)، باب: الخاء والسين والراء، مادة: سخر، **ص١٩٦**. ابن منظور: ***لسان العرب***، ج٤، فصل: السين المهملة، مادة: سخر، **ص٣٥٢**.

(٣) الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: ٥٠٥هـ): ***إحياء علوم الدين***، ج٣، (دار المعرفة، بيروت، د.ت)، **ص١٣١**.

(٤) ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ): ***الفتاوى الكبرى لابن تيمية***، ج٦، (دار الكتب العلمية، بيروت، **١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص٢٢**.

(٥) أحمد مختار عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، (عالم الكتب، القاهرة، **٢٠٠٨م)**، مادة: هـ.ج.و، ص٢٣٢٩؛ شاكر عبد الحميد: ***الفكاهة والضحك الفكاهة والضحك رؤية جديدة***، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ٢٨٩، **٢٠٠٣م)، ص٥١**.

(٦) حامد الهوال: ***السخرية في أدب المازني***، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **١٩٨٢م)، ص٣٥**.

(٧) شاكر عبد الحميد: ***الفكاهة والضحك***، **ص١٣**؛ سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري***، **ص٤٢-٥٠**.

(٨) شاكر عبد الحميد: ***الفكاهة والضحك***، **ص٥٢**؛ نعمان طه: ***السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري***، (دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، القاهرة، ١٩٧٨م)، **ص١٤**؛ سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري*** ، **ص٢٣**.

(٩) شاكر عبد الحميد: ***الفكاهة والضحك***، **ص١٣**؛ سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري***، **ص٢٤**.

(١٠) أحمد مختار عمر: ***معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي***، ج١، (عالم الكتب، القاهرة، **١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م**)، مادة: هـ، **ص٧٨٢**.

(١١) مجمع اللغة العربية: ***المعجم الوسيط***، ج٢، مادة: هاء، **ص٩٩٨**.

(١٢) داريوش شايغان: أوهام الهوية، ترجمة : محمد علي مقلد، دار الساقي، بيروت، لبنان، ص٥؛ محمد توفيق العنوي: نظرية الهوية الشخصية، دار الوفاء، الإسكندرية ،٢٠٠٤ م، ص٧؛ ابراهيم محمد علي مرجونة: *دور النساء في تكوين الشخصية المسلمة في صدر الإسلام، بحث منشور بمجلة اتحاد المؤرجين العرب (المرأة العربية عبر عصور التاريخ) حصاد العدد ١٩، القاهرة، ٢٠١١م ، ص١٣١.*

Quine, :Identity An Essay In "Metaphysics, The Big Questions" Edited By Peter Van Inwagen ,Black well ,1988,P.189.

(١٣) المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ): : ***المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار***، المعروف بـ (الخطط المقريزية)، مج١، حققه وكتب مقدمته ووضع حواشيه: أيمن فؤاد سيد، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، **٢٠٠٢م**)، **ص٨٠-٩٤**.

(١٤) أحمد صادق الجمال: ***الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي***، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **٢٠١٣م**)، **ص٨٣-٨٤**.

(١٥) نعمات أحمد فؤاد: ***الشخصية المصرية في الأمثال***، ص٣١.

(١٦) نعمان طه: ***السخرية في الأدب العربي*؛ ص٣٧**؛ سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري*** ، **ص٦١**.

(١٧) سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري***، **ص٦٢-٦٣**.

(١٨) سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري***، **ص٦٣**.

(١٩) شاكر عبد الحميد: ***الفكاهة والضحك***، **ص٣٧٠، ص٣٧٤**؛ سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري***، **ص٨٢**.

(٢٠) نعمان طه: ***السخرية في الأدب العربي***، **ص٤٧**؛ سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري***، **ص٧٢**.

(٢١) حامد الهوال: ***السخرية في أدب المازني***، **ص٤٣**؛ سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري***، **ص٧٤-٧٦**.

(٢٢) شمسي واقف زادة: ***الأدب الساخر: أنواعه وتطوره مدي العصور الماضية***، فصلية دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد الثاني عشر، (جامعة آزاد الإسلامية في ورامين، بيشوا، إيران، **١٣٩٠هـ)، ص١٠٣**.

(٢٣) المماليك الأتراك: هم العنصر الرئيس في جيش دولة المماليك الأولى (البحرية)، ويعود أصلهم إلى آسيا الوسطى ومن أشهر قبائلهم القبجاق أو القفجاق التي استوطنت حول بحر قزوين وحوض نهر الفولغا، وقد بدأت عملية جلب هذا العنصر في الدولة الأيوبية، وتزايد عددهم في عهد الصالح نجم الدين أيوب نتيجة تعرض مواطنهم الأصلية للغزو المغولي، وما ترتب عنه من سبي وبيع في أسواق الرقيق، وكون منهم فرقة المماليك البحرية التي أنشأها لمواجهة العناصر الأخرى في الجيش الأيوبي واستمر جلبهم طوال دولة المماليك البحرية. – مصطفى عبد الكريم الخطيب: ***معجم المصطلحات والألقاب التاريخية***، (مؤسسة الرسالة، بيروت، **١٩٩٦م)**، ص١٠٤؛ محمد عبد الله سالم العمايرة: ***المعجم العسكري المملوكي***، (كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، **٢٠١١م)، ص٧٥**.

(٢٤) الصقالبة: اسم أطلقه العرب على الشعوب السلافية القاطنة بين جبال أورال والبحر الأدرياتيكي وهو فرعان: صقالبة الشمال (الروس والبولونيون)، وصقالبة الجنوب (الصرب والكروات والسلوفاك والبلغار)، ولفظ صقالبة إسباني مشتق من الكلمة اللاتينية: إسكلافوس، ومعناها الأرقاء السلافيون. – مصطفى عبد الكريم الخطيب: ***معجم المصطلحات***، **ص٢٩٢**.

(٢٥) أحمد مختار العبادي: ***في تاريخ الأيوبيين والمماليك***، (دار النهضة العربية، بيروت، **١٩٩٥م)، ص٩-١٠**.

(٢٦) قاسم عبده قاسم: ***عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي***، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، **١٩٩٨م)، ص٢٦**.

(٢٧) أحمد مختار العبادي: ***في تاريخ الأيوبيين والمماليك***، **ص١١**.

(٢٨) أحمد مختار العبادي: ***في تاريخ الأيوبيين والمماليك***، **ص٩**.

(٢٩) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون، ت٨٠٨هـ): ***العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر***، ج١، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، **١٩٨١م**)، **ص٢١٨**.

(٣٠) قاسم عبده قاسم: ***عصر سلاطين المماليك***، **ص٣١**؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، ***المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك***، (دار النهضة العربية، القاهرة، **١٩٩٢م**)، **ص٨**.

(٣١) **الجركس**: العنصر البشري الرئيس في دولة المماليك الثانية (الجراكسة)، واللفظ أعجمي ومعناه: الرجال الأربعة، والذي أطلق دلالة على القبائل الجركسية الأربعة: (سركس، أركس، كسا، أص)، والجركس من أقدم الشعوب الآرية التي سكنت شمال نهر ترك والدون والفولغا وعلى ساحل بحر أزوف وشغلوا منطقتين كبيرتين شمال القفقاس، وقد جلب هذا العنصر بكثرة منذ عهد المنصور قلاوون. محمد عبد الله سالم العمايرة: ***المعجم العسكري***، ص٨٦-٨٧.

(٣٢) **الكَرَج**: بفتح الكاف والراء، أول حصن من معاقل الجبل، ولم تكن في أيام الأعاجم مدينة مشهورة، وإنما كانت في عداد القرى العظام، وهذا الحصن هو حصن أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي أحد أكابر قواد الخليفة المأمون العباسي، وهي حاليًا المنطقة الواقعة شمالي أرمينية، بين البحر الأسود وبحر الخرز (جمهورية جورجيا في منطقة القوقاز). راجع: الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، ت: ٩٠٠هـ): ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، تحقيق: إحسان عباس، (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، **١٩٨٠م**)، **ص٤٩١**.

(٣٣) **المماليك الظاهرية**: أطلق مصطلح الظاهرية، أو المماليك الظاهرية على عدة طوائف من المماليك السلطانية التي أنشأها السلاطين المماليك الذين تلقبوا بالظاهر، كالظاهرية البيبرسية المنسوبة للظاهر بيبرس البندقداري، والظاهرية البرقوقية المنسوبة للظاهر برقوق، والظاهرية الجقمقية المنسوبة للسلطان الظاهر جقمق، والظاهرية الخشقدمية المنسوبة للظاهر خشقدم. محمد عبد الله سالم العمايرة: ***المعجم العسكري***، **ص٣٠٧**.

(ويقصد بالمماليك الظاهرية هنا: المماليك الظاهرية البيبرسية المنسوبة للظاهر بيبرس).

(٣٤) **جزيرة الروضة:** هي جزيرة في وسط البحر، والبحر دائر حولها من جميع جهاتها وهي بين الفسطاط والجيزة ، وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن في غيرها. ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م): ***الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها***، القسم الأول (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، **د.ت)، ص١٠٩.**

(٣٥) محمد سهيل طقوش: ***تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام***، (دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، **١٩٩٧م)، ص١٧٥.**

(٣٦) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى، ت٨٧٤ هـ): ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة***، ج١٦، تحقيق: جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **١٩٧٢م)، ص٢٥٣.**

(٣٧) ابن تغرى بردى: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، **ص٢٥٣.**

(٣٨) ابن تغرى بردى: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، **ص٢٥٣.**

(٣٩) محمد سهيل طقوش: ***تاريخ المماليك***، **ص٣٠٠، ص٣٢٥.**

(٤٠) محمد سهيل طقوش: ***تاريخ المماليك***، **ص٣٠٠، ص٣٢٥.**

(٤١) **بركة بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي:** جلبه خواجا جوبان من بلاده إلى الديار المصرية، فاشتراه الأمير يلبغا الخاصكي العمري، وجعله من جملة مماليكه، اشترك في الاستبداد بالحكم مع الظاهر برقوق قبل سلطنته، حتى تنازعا وسجنه برقوق بالإسكندرية، ثم أمر بقتله في شهر رجب سنة (٧٨٢هـ). – ابن تغري بردي: ***المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي***، ج٣، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **١٩٨٥م)، ص٣٥١-٣٥٤.**

(٤٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٥٣١؛ ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١١، **ص٣٦٢**؛ ابن حجر العسقلاني (أحمد بن على بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ): ***إنباء الغمر بأنباء العمر***، ج١، تحقيق: حسن حبشي، (لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، **٢٠١١م)، ص١٥٣**؛ ابن العماد

(عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، ت ١٠٨٩هـ): ***شذرات الذهب في أخبار من ذهب***، ج٩، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦م)، ص١٦.

(٤٣) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، ص١١، ص٣٦٢؛ ابن شاهين (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الملطى، ت٩٢٠هـ): نيل الأمل في ذيل الدول،ج٢، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م)، ص١٣٥؛ قاسم عبده قاسم: ***عصر سلاطين المماليك***، ص١٤٥؛ محمد سهيل طقوش : ***تاريخ المماليك***، ص٣٤٥. (غير أن المطلي يذكرها هكذا: «برقوق وبركة، ضربا على الدنيا شبكة»).

(٤٤) محمد رجب النجار: ***الشعر الشعبي الساخر***، (دار السلاسل، الكويت، ٢٠٠٧م)، ص٤٦.

(٤٥) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١١، ص٢٨٧-٢٨٩؛ محمد سهيل طقوش: ***تاريخ المماليك***، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٤٦) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١١، ص٣٢٣؛ ابن شاهين: ***نيل الأمل***، ج٢، ص٢٧٥؛ محمد سهيل طقوش، ***تاريخ المماليك***، ص٣٦٥.

(٤٧) ابن حجر: ***إنباء الغمر***، ج١، ص٣٩٢-٣٩٣؛ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت٩٣٠هـ): ***بدائع الزهور في وقائع الدهور***، ج١، تحقيق: محمد مصطفى، (مطبعة عيسى البابي الحلبى، القاهرة، ١٩٦١م)، ص٢٢٤.

(٤٨) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج١، ص٢٢٤.

(٤٩) المقريزي: ***الخطط***، ج٢، ص١٦٠؛ ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٢، ص١٢٧؛ ابن شاهين: ***نيل الأمل***، ج٢، ص٢٥٣؛ محمد سهيل طقوش: ***تاريخ المماليك***، ص٣٦٩-٣٧١.

(٥٠) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج١، ص٢٢٤.

(٥١) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج١، ص١٨٥.

(٥٢) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج١، ص١٨٥.

(٥٣) نسبة إلى قرية باعونة في عجلون بدمشق، ابن الغزي (**شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، ت: ١١٦٧هـ**): *ديوان الإسلام*، **ج١**، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، **١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص٢٣٨.**

(٥٤) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٣، ص١٩٢؛ السيوطي: ***حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة***، ج٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (عيسى البابي الحلبى وشركاه، مصر، **١٩٦٧م)، ص٨٦ ، ص١٧٣**؛ ابن شاهين: ***نيل الأمل***، ج٦، **ص٨٤.**

(٥٥) ابن اياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٦**؛ ابن الغزي: ***ديوان الإسلام***، ج١، **ص٢٣٨.**

(٥٦) ابن اياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٢٠.**

(٥٧) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٤، **ص١٣٥**؛ ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٢١.**

(٥٨) **الزَّرْبِيَّة:** نوع من الأرصفة المبنية على أوتاد أو دعائم على شاطئ النيل أو البرك. – المقريزي: ***الخطط***، مج٣، **ص٤٣٥**، حاشية (٢).

(٥٩) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٢١.**

(٦٠) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٧٧**؛ ابن شاهين: ***نيل الأمل***، ج٤، **ص١٠٣.**

(٦١) المقريزي: ***السلوك لمعرفة دول الملوك***، **ج٧، تحقيق: محمد عبد القادر عطا**، (دار الكتب العلمية، بيروت، **١٩٩٧م)، ص٣٨٦–٣٨٧**؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: ***المجتمع المصري***، **ص١١٣.**

(٦٢) ابن شاهين: ***نيل الأمل***، ج٢، **ص٢٨٤.**

(٦٣) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٢٠٢.**

(٦٤) المقريزي: ***السلوك***، ج٧، **ص٣٨٦**؛ ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٢٠٢–٢٠٣.**

(٦٥) **محمد بن محمد بن عبد المنعم بن سليمان بن داود البغدادي الأصل ثم المصري:** انتهت إليه في آخر عمره رئاسة المذهب الحنبلي بل رئاسة عصره وكان معظمًا عند الملك الظاهر جقمق، مسموع الكلمة عند أركان الدولة، ولد سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م) وتوفي سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٤م). ابن مفلح (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد المتوفى: **٨٨٤هـ**): ***المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد***، تحقيق: عبد الرحمن

بن سليمان العثيمين، (مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، **١٤١٠هـ/١٩٩٠م**)، **ص٥١٤-٥١٦**؛ السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، ت: ٩٠٢هـ): ***الضوء اللامع لأهل القرن التاسع***، ج٩، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، **د.ت**)، **ص١٣١-١٣٢**؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ): ***نظم العقيان في أعيان الأعيان***، تحقيق: فيليب حتي، (المكتبة العلمية، بيروت، **د.ت**)، **ص١٦٤**.

(٦٦) **محب الدين أبو الفضل بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر الششتري (التستري) البغدادي الحنبلي:** ولد في بغداد في شهر رجب سنة (٧٦٥هـ)، وقدم القاهرة صغيرًا وتلقى العلم بها وتولى منصب قاضي الحنابلة عدة مرات حتى توفي في شهر جمادى الأولى سنة (٨٤٤هـ). المقريزي: ***السلوك***، ج٧، **ص١١٠، ص٤٧٨-٤٧٩**.

(٦٧) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٢٢٥**.

(٦٨) أصله من بِبَا الكبرى بالوجه القبلي، كان بها خفيرًا، وقيل راعيًا، وقيل غير ذلك، قدم القاهرة، وصار بخدمة بعض الطباخين مرقدارًا، ثم صار صبيًّا عند بعض معاملي اللحم، ولا زال ينتقل في هذه الصناعات إلى أن صار معاملًا، وحسنت حاله، ولا زال أمره يتدرج في صناعته إلى أن أثرى، وحصّل مالًا كثيرًا، وصار معوّل الوزراء عليه في حمل اللحم المرتب للمماليك السلطانية، وبقى يركب بغلًا بنصف رحل بسلخ جلد خروف، ويلبس قميصًا أزرق كأكابر المعاملين، وسمع الملك الظاهر خشقدم بسعة ماله- وكان من الخسة والطمع في محل كبير- فاحتال على أخذ ماله بأن ولاه نظر الدولة في أوائل ذي الحجة من سنة (٨٦٧هـ)، ولبس البباوي العمامة والفرجيّة والخف والمهماز، وارتدى لباس الكتاب، وترك زي المعاملين. (للمزيد راجع: ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، **ص٤٢٠**؛ ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٢٢٥**- غير أن ابن تغري بردي يذكره البيأوي بينما يذكره ابن إياس بالبباي).

(٦٩) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، **ص٤٢٠**؛ ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٤١٦**.

(٧٠) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، **ص٢٧٨، ص٣٤٠**.

(٧١) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٤٣٢**.

(٧٢) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، **ص٣٦١**؛ ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٤٦١**.

(٧٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: ***المجتمع المصري***، **ص١١٥**.

(٧٤) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١١، **ص٢١٠-٢١١**، **ص٢٢٢**.

(٧٥) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١١، **ص٢١٠-٢١١**.

(٧٦) ابن الفرات **(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، ت٨٠٧هـ)**: ***تاريخ ابن الفرات***، ج١، م٩، (المكتبة الأمريكانية، بيروت، **١٩٣٦م)**، **ص٦-٧**؛ رأفت النبراوي: ***النقود الإسلامية في مصر عصر المماليك الجراكسة***، (مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ط٢، **١٩٩٦م)**، **ص٢٨٥**.

(٧٧) المقريزي: ***السلوك***، ج٥، **ص١٩٨**؛ ابن الفرات: ***تاريخ ابن الفرات***: ج١، م٩، **ص٧**.

(٧٨) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص١٠٤**.

(٧٩) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص١٤٨**

(٨٠) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص١٧٧**.

(٨١) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٢، **ص٢٢٩**.

(٨٢) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٣، **ص١٣٣**.

(٨٣) ابن خلدون: ***رحلة ابن خلدون***، تحقيق: محمد بن تاويت الطَّنجي، (دار الكتب العلمية، بيروت، **٢٠٠٤م)**، **ص٢٠٠**.

(٨٤) المقريزي: **الخطط**، ج١، **ص٩٣**.

(٨٥) سعيد عبد الفتاح عاشور: ***المجتمع المصري***، **ص١١٣**.

(٨٦) ابن تغري: ***حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور***، ج١، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، (عالم الكتب، بيروت، **١٩٩٠م)**، **ص٨٩**.

(٨٧) سعيد عبد الفتاح عاشور: ***المجتمع المصري***، **ص١١٣**.

(٨٨) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، **ص١٠٣**.

(٨٩) ابن تغري بردي: ***النجوم الزاهرة***، ج١٦، **ص١٠٢-١٠٣**؛ أشرف النبراوي: ***النقود الإسلامية***، **ص٢٩٦-٢٩٧**.

(٩٠) ابن إياس: ***بدائع الزهور***، ج٤ ، **ص٩٢.**

(٩١) إبراهيم على طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص٣٤٢-٣٤٣.

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر:

١- ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت٩٣٠هـ): ***بدائع الزهور في وقائع الدهور***، الأجزاء الأول والثاني والخامس تحقيق: محمد مصطفى، (مطبعة عيسى البابي الحلبى، القاهرة، **١٩٦١-١٩٧٥م**)، الجزء الثالث تحقيق: باول كاله ومحمد مصطفى، الجزء الرابع تحقيق: باول كاله ومحمد مصطفى وموريتسن سوبرنهايم، (مطبعة الدولة، استانبول، **١٩٣١م**).

٢- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى، ت٨٧٤ هـ): ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*** ، الأجزاء من الأول إلى الثاني عشر، (دار الكتب المصرية، القاهرة، **١٩٢٩-١٩٥٦م**)، والجزء الثالث عشر تحقيق: فهيم محمد شلتوت، والجزء الرابع عشر تحقيق: جمال محمد محرز وفهيم محمد شلتوت، والجزء الخامس عشر تحقيق: إبراهيم على طرخان، (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، **١٩٧٠-١٩٧١م**)، والجزء السادس عشر تحقيق: جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **١٩٧٢م**).

٣- ـــــ : ***حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور***، جزآن، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، (عالم الكتب، بيروت، **١٩٩٠م**).ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ): ***الفتاوى الكبرى لابن تيمية***، ج٦، (دار الكتب العلمية، بيروت، **١٤٠٨هـ/١٩٨٧م**).

٤- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن على بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ): ***إنباء الغمر بأنباء العمر***، ٤ أجزاء، تحقيق: حسن حبشي،

(لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، **٢٠١١م**).

٥- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، ت: ٩٠٠هـ): ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، تحقيق: إحسان عباس، (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، **١٩٨٠م**).

٦- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون، ت٨٠٨هـ): ***العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر***، ٨أجزاء، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، **١٩٨١م**).

٧- ـــــ: ***رحلة ابن خلدون***، تحقيق: محمد بن تاويت الطَّنجي، (دار الكتب العلمية، بيروت، **٢٠٠٤م**).

٨- الخليل بن أحمد (الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ت: ١٧٠هـ): ***كتاب العين***، ج٤، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، **د.ت**).

٩- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م): ***الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها***، القسم الأول (المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، **دت**).

١٠- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، ت: ٩٠٢هـ): ***الضوء اللامع لأهل القرن التاسع***، ج٩، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، **د.ت**).

١١- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ): ***نظم العقيان في أعيان الأعيان***، تحقيق: فيليب حتي، (المكتبة العلمية، بيروت، **د.ت**).

١٢- ـــــ : ***حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة***، ج٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (عيسى البابي الحلبى وشركاه، مصر، **١٩٦٧م**).

١٣- ابن شاهين (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الملطى، ت٩٢٠هـ): ***نيل الأمل في ذيل الدول***،ج٢، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، **٢٠٠٢م**).

١٤- ابن العماد (عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، ت ١٠٨٩هـ): ***شذرات الذهب في أخبار من ذهب***، ج٩، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، **١٩٨٦م**).

١٥- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: ٥٠٥هـ): ***إحياء علوم الدين***، ج٣، (دار المعرفة، بيروت، **د.ت**).

١٦- ابن الغزي (شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، ت: ١١٦٧هـ): ***ديوان الإسلام***، ج١، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت،**١٤١١هـ/١٩٩٠م**).

١٧- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، ت٨٠٧هـ): ***تاريخ ابن الفرات***، ج١، م٩، (المكتبة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٦م).

١٨- ابن مفلح (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد المتوفى: ٨٨٤هـ): ***المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد***، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، **١٤١٠هـ/١٩٩٠م**).

١٩- المقريزي (تقى الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ): ***السلوك لمعرفة دول الملوك***، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، **١٩٩٧م**).

٢٠- ـــ: ***المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار***، المعروف بـ (الخطط المقريزية)، ٤ مجلدات، حققه وكتب مقدمته ووضع حواشيه: أيمن فؤاد سيد، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٢-٢٠٠٤م).

٢١- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ت: ٧١١هـ): ***لسان العرب***، ج٤، (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ).

ثانيًا- المراجع

٢٢- **إبراهيم محمد علي مرجونة: *دور النساء في تكوين الشخصية المسلمة في صدر الإسلام، بحث منشور بمجلة اتحاد المؤرخين العرب (المرأة العربية عبر عصور التاريخ) حصاد العدد ١٩، القاهرة، ٢٠١١م ، ص١٣١.***

٢٣- إبراهيم على طرخان: ***مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة***، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت).

٢٤- أحمد صادق الجمال: ***الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي***، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م).

٢٥- أحمد مختار العبادي: ***في تاريخ الأيوبيين والمماليك***، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥م).

٢٦- أحمد مختار عبد الحميد عمر: ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، ج٢، (عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م).

٢٧- ـــــ : معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، (عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

٢٨- داريوش شايغان: أوهام الهوية، ترجمة : محمد علي مقلد، دار الساقي، بيروت، لبنان، ص٥؛ محمد توفيق العنوي: نظرية الهوية الشخصية، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٤ م.

٢٩- حامد الهوال: ***السخرية في أدب المازني***، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **١٩٨٢م**).

٣٠- حسين مؤنس: ***أطلس تاريخ الإسلام***، (الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، **١٩٨٧م**).

٣١- رأفت النبراوي: ***النقود الإسلامية في مصر عصر المماليك الجراكسة***، (مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ط٢ ،**١٩٩٦م**).

٣٢- سعيد أحمد عبد العاطي غراب: ***السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين: دراسة وتحليل ونقد***، (العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، **٢٠٠٩م**).

٣٣- سعيد عبد الفتاح عاشور: ***المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك***، (دار النهضة العربية، القاهرة، **١٩٩٢م**).

٣٤- شاكر عبد الحميد: ***الفكاهة والضحك الفكاهة والضحك: رؤية جديدة***، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ٢٨٩، **٢٠٠٣م**).

٣٥- شمسي واقف زادة: ***الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدي العصور الماضية***، فصلية دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد الثاني عشر، (جامعة آزاد الإسلامية في ورامين، بيشوا، إيران، **١٣٩٠هـ**).

٣٦- قاسم عبده قاسم: ***عصر سلاطين المماليك: التاريخ السياسي والاجتماعي***، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، **١٩٩٨م**).

٣٧- مجمع اللغة العربية: ***المعجم الوسيط***، ج٢، القاهرة.

٣٨- محمد سهيل طقوش: ***تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام***، (دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، **١٩٩٧م**).

٣٩- محمد رجب النجار: ***الشعر الشعبي الساخر***، (دار السلاسل، الكويت، **٢٠٠٧م**).

٤٠- محمد عبد الله سالم العمايرة: ***المعجم العسكري المملوكي***، (كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، **٢٠١١م**).

٤١- مصطفى عبد الكريم الخطيب: ***معجم المصطلحات والألقاب التاريخية***، (مؤسسة الرسالة، بيروت، **١٩٩٦م**).

٤٢- نعمات أحمد فؤاد: ***الشخصية المصرية في الأمثال***،

٤٣- نعمان طه: ***السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري***، (دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، القاهرة، **١٩٧٨م**).